

في المقتطف ومرة في مجلة المجمع بعد صدور كتابه (ملقى السبيل) حيث قال ان المؤلف ذكر حظ العرب في البحث اليقيني فعزا اليهم نقائص وهنات كثيرة وكاد يجردهم من كل اثر علمي أو أدبي أو فلسفي ، وقد حاد المؤلف عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أسلوب يقيني محض لوجب ان ينكر ان العرب لم ينفردوا بأسلوبهم الغيبي بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وحسب العرب أن يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها على قدر ما بلغته كافة البشر .

وفي مراجعاتنا عن الامير مصطفى الشهابي لم نلبث ان طلع علينا في مجلة «الهلal» في ابريل 1930 بأولى مقالاته التي تواتت ، وكان لها طابعها المختلف عن مقالات مجلتي المقتطف والمجمع العلمي العربي ، لانها تتناول موضوعات في الادب الخالص فهو يتحدث فيها عن فلسفة اللذة ، وفلسفة القوة ، ثم غرائب المطالعات ، وحقيقة الانسان وغرائب المصانعين ، وحديث بغل وحصار ..

ولكن الامير مصطفى الشهابي لا ينسى دولة الازهار والخيل والزرع ، وهو مهما تحدث عن ابن خلدون وعارض رايه في أن الكتب التي تكون الاديب اربعة ، هي الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر لابن علي القالي . وانسه لا يجوز ارسال جملة مطلقة كهذه الجملة ، وحصر اصول الادب العربي في نطاق هذا العدد المحدد من الكتب ، وأن هناك من الكتب الاخرى الرائدة ما يحتاج اليه الاديب كالاغانى والعقد الفريد ، وخزانة الاديب للبيدادي ، ورسائل الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ... بالرغم من هذا كله يعود الامير مصطفى الشهابي الى دولة الازهار والخيل والزرع ...

فما هو الا أن يطلع على القراء بذلك المقال الذي احببته منذ مطالع صباي وقراته مرارا ، واختارته الهلال في كتابها «أحسن ما قرأت» والمقال بعنوان : (الازهار المداسة) :

فيه يقول الامير مصطفى الشهابي :

« كنت البارحة انحدر الى دمشق من داري في سفح (قاسيون) فاسترعى نظري جار يدوس أزهارا نابلة لملقاة في الطريق منها ورد وخطمي وخشخاش ومرغريته وغيرها تتخللها زهرات صغيرات من الفل ،

وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها ، فتذكرت على الفور فصيحة مرقصة بعنوان «سجينة» لشاعرنا العربي الامريكي الرقيق « ايليسا ابو ماضى » وصف فيها زهرة كانت تعيش في الحقل قريبة العين ، هادئة البال ، سعيدة بالتراب الغنى والهواء النسي ، والضل الندى ونور الشمس ودفئها ، وترانس الاعضان على موسيقى الرياح ، وتظاير الفراش في انهار وتهاوى النيازك في النيل ، فاذا بغاوا من غواة الزهر يقظها مغتبطا بها ، فيضعها في زهرية ، ويسجنها في غرفة ، فتتالم وتتفجع ، وتستغيث من نظرات العشاق وانوف النشاق ... فلا رقص الكواكب في القصر كرقص الفراش في الحقل ولا المصاييح المتلألئة في الابهاء كنور الجبابب الضعيف في الدجى ، ولا عصر الحسان في عبقه كريج انتراب في فعونه .

ونظرت الى الجار يظا تلك الازهار دون ان يعتذر أو يتخشع فدنوت منه وبنات الحديث ثم قلت : أوتدري يا صاح ان من الازهار الجميلة النادرة نباتات تظل تجي كما يريدون من حيث تكريتها وتزيينها ، وانهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات . علا امعنت نظرك في أوراق هذه النباتات تدوسها ، وادركت أشكالها العجيبة من سنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومقرصنة الى عشرات من الصفات المختلفة ، وقد اتخذ الناس كثيرا من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النسوت المستملحة ، والصفات المستحبة ، فالبنفسج للحشمة ، والورد للجمال ، وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر ، فجعلوا الخنود كالورد ، واللحظ كالنرجس ، والشفة كالشقائق ...

هل جال في خلدك ان تدخل قبة الصخرة في القدس ، او المسجد الاموى في دمشق فترى تزاويق الزهر وتعاريج الورق في زخرف عربي أخاذ ، هل عرجت على تدمر او بعلبك فرايت الازهار كيف تنقش في الصخر الاصم ولكم نقش المصريون الإقدمون زهرة اللوطس وورقتها على ميالكهم وابنيتهم ونقودهم وحليهم وكم سحرت أوراق الاقحوان فناني اليونان والرومان فأوجدوها في أعمدة قصورهم وميالكهم

وهكذا يمضي الامير الشهابي في الحديث عن الزهر ، حديث الادب هنا وحديث العلم هناك في معاجمه وابحائه المضطردة في مجامع دمشق والقاهرة وبغداد وهو في حياته يعيش علمه وفكره ، فاذا عرض لنا مذكرة من

يومياته أحسنا مدى أثر بيئته في فكره وعلمه - يقول في احى مذكراته :

« كنت منذ بضعة أيام ممتظيا صهوة جواد من العراب يسير بي الهويئا تحت مسوق ادواح الغوطة الفيحاء في نهر من الصحاب كلهم من هواة الخيل وفرسان الليل وقد رق الهواء في ايام الخريف الذهبيات ، وسكنت الطبيعة وجعلت الشجر تنتثر اوراقها وتتعى لترقد في الشتاء ، وكانت الخيل قد شاركت الطبيعة في مظاهرها فكانت تسبح بنا سباحا ، وهي اساس ما تكون قيادا ! إلا فرسا جمرحا هجينا أبطره القعود ، وفرط العلف ، فكان ينزو بصاحبه ويفرمض ويمرض (يمشى بالعرض) حتى اذا اقترب من فرسي شخر ونخر بصوت اجش ، ورفع احدى رجليه ولبط لبطة استقرت في داعصتي (صابونة الركبة) فترجلت أعرج ، وانفضض من الالام كالمرور ، ازعده البرد او كالمحوم نفثته الحمى ، وفي دنائتي معدودات حملتني سيارة الى الدار فجلست في حديثها استريح على مقعد قبل بلوغ احدى الغرف فما راعنى الا زنبور يدوم في الهواء ، وكأنه عقد على موعنا ، لانني ما كدت اجلس حتى انقض على سبابة يدى اليمنى فلتسعا لسعة ورمتها ثلاثة ايام ... »

وهكذا يبدو الامير مصطفى الشهابي منذ مطلع حياته وهو يعيش في دولة الزهر والخيل والزراعة ، ومن هنا كان التصاقه الروحي والفكري بالعمل اللغوي الذي تخصص له ، والذي برز فيه وعد مرجعا من مراجعه في العالم العربي كله ...

واذا كان لي أن أستطرد في هذا المجال فاني اقول ان الشعر وهو احدى مواهب الامير الشهابي قدعاش ايضا في مجال الزهر والخيل ...

ففي قصيدته التي ودع بها القاهرة عام 1935 يقول :

القلب كالتزئيق الرجراج ينفض من نـ

سار التفرق خفاقا وموارا

يهيم في مصر ملتاعا ينش وقد

سار القطار بنا ليلا فما سارا

يا ساكنى عين شمس هل بأضلمكم

ماوى تحلون فيه ذلك الجدارا

وهل تعلمونه من ماء نيلكم

علا يسكن في سودائه نارا

جاءوا الى بأزهار الوداع وقد

بلت دموعى أردانا وأزهارا

تصوح الزهر اشفاقا على فما
أصبحت منه ذكى السعرف معطارا

أواه يا نسמת النيل ساجية

كم ضمك الصدر اشهاقا وزغارا

وكم تعطرت بالريحان وامتزجت

رياك بالروض افنانا ونورا

ما ان نشفتك حتى خلت منتعشا

ماء الحياة جرى بالجسم انهارا

وخلتني عدت مخضل الاماب الى

شرخ الشباب قوى العزم جبارا

مهلا احبائي انى عائد لكم

مهما تعنت هذا الدهر أو جارا

لولا دمشق وروض الفوطتين لما

تخيرت غير جنان النيل لى دارا

وبعد فان تاريخ الامير مصطفى الشهابي وكفاحه في مجال اللغة العربية يطول وقد عاد الى بالذاكرة اليه عبارته في أول كتابه (المصطلحات العلمية في اللغة العربية) حين يقول انه بدأ منذ ثلاثين سنة ينشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق والمقتطف بالقاهرة باكورة هذه المصطلحات في علوم الزراعة وفي علوم المواليد الثلاثة من نبات وحيوان وجماد وانّه تأبر عليها الى اليوم حتى تتجمع له نحو عشرة آلاف لفظة عربية أو معربة. وضما قبالة الانفاظ الفرنسية او الاسماء العلمية وقد ضم معجم الانفاظ الزراعية المطبوع في دمشق 1943 وفي القاهرة 1957 معظمها .

وقد تحدث الامير مصطفى الشهابي في مطالع بحثه عن نشوء اللغة العربية ووسائل نموها بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . وتصدى لما واجهها ازاء نقل العلوم فى النيضة الحديثة وجود المجمع الثلاثة فى دمشق والقاهرة وبغداد فى هذا الصدد ووضح يتحدث عن هذه المصطلحات حتى أغنى الباحث فى مجالها .

ونحن اذ ننقل صورته الى مجلة اللسان العربي الزاهرة انما نذكر أولئك الرواد المغاربة فى مجال المصطلحات واللغة أمثال عبد الله كنون ومحمد الفاسى وعبد العزيز بنعيد الله ، وأمامي له معجم عن الاصول العربية والاجنبية للعامة المغربية وأبحاث أخرى عديدة.

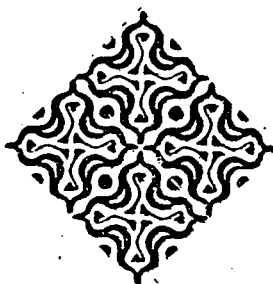
واذا جاز ان نتحدث عن الامير مصطفى الشهابي خارج مجال اللغة العربية فانا نقول انه واحد من رواد القومية العربية واحد أفراد حلقة دمشق الصغيرة

وجمعية الاخاء العربي والجمعية القحطانية ... وحثته
الشيخ طاهر الجزائري وقد أجرى هذا الحديث فياضا
في كتابه (القومية العربية : تاريخها وقوامها ومزاعمها)
وله أيضا دراسته الخصبة عن (الاستعمار) ومئات
الابحاث والمقالات في صحف العالم العربي في الادب
واللغة والتاريخ .

وقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الادب العربي
المعاصر في مجال كتاب النثر وفي مجال حماة اللغة
العربية ، وحياته حياة خصبة حافلة بالعمل النافع
للفكر العربي ، ولد في حاصبيا من اعمال دمشق وتعلم
في دمشق واستانبول ثم سافر الى فرنسا حيث حصل
على اجازة في الهندسة الزراعية ثم عاد من باريس 1914
الى استنبول حيث اتصل باعضاء جمعية المنقذ الادبي
الذين كانوا يحملون لواء الدعوة العربية وقد اتجه الامير
الى ميدان الفكر ، وولى عددا من المناصب حتى أصبح
وزيرا للمعارف سنة 1936 ثم سفيراً لسوريا في مصر
عام 1952 واشترك في المجامع الثلاثة واصدر معجمه
الباهر ، ويرجع اهتمامه بالمصطلحات الى الحركة العربية
التي كانت ترمي قبيل الحرب العالمية الاولى الى تحرير
اللغة العربية من المسميات الاجنبية .

ويؤمن الامير الشهابي بأن التراث العلمي والادبي
والفلسفي الذي خلفه العرب والمسلمون لا مثيل له في
انكم وانكيف جميعا في لغة ما من لغات العالم وهو لا
يرى تعارضا بين العربية والاسلام ، يقول « ان القومية
العربية والاسلام يمشيان جنبا الى جنب دائما ولا
يستطيع العرب أن يفعلوا ما فعل الترك في الالحاد وجعل
الحكومة لا دينية ، وهو يهاجم استعمال الحروف
اللاتينية ويرى انها تبعدنا عن تراثنا العلمي وعن الشعوب
الاسلامية التي تكتب بحروفنا وعنده ان تبديل قواعد
اللغة الاصلية يبعدنا عن فهم القرآن وهو تراثنا الاعظم
دينا وقوميا ، ، ولا يجوز بحال العدول عن فهمه وتفهمه
مهما مست الحاجة الى تسهيل قواعد الصرف والنحو في
اللغة الضادية ويرى ان مفردات اللغة العربية ومعاني
المفردات وتعبيرات تلك اللغة واصطلاحاتها لم تجمد قط
على حال واحدة منذ صدر الاسلام وهي التي يجب علينا
العمل في سبيلها حتى تجاري العربية لغات أوربا الحية .
وفي الحملة فان الامير مصطفى الشهابي عالم لغوي
وبحثة واديب اقام منذ ثلاثين عاما دولة للزهر والخيل
والزراعة في أدبنا العربي .

القاهرة - انور الجفندي



الحادث والتاريخ

الاستاذ مالك بن نبي
مدير التعليم العالي بالجزائر

شعوب الشرق الاوربي فدفعت بهم الى غزو الغرب اللاتيني . ويفسر فعلا الحادث في شكله هذا في نطاق « مجال البحث الاوربي، يبدأ أننا اذا ذهبنا بالتحري مذهبا أبعد بأن نطرح هذا السؤال .. ترى كيف نشأت هذه الموجة التي يسميها المؤرخون الالمان « فولكرفاندرونغ » Volkervanderung اي موجة الشعوب هي الاخرى ؟ وفي الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه المؤرخ الانجليزي بحقل الدراسة لان الظاهرة التي كانت لحد الآن شيئا اوربيا تصبح فجأة «حدثا» اسيويا . وبالفعل فان تداعي أسرة مالكة صينية قبل ذلك بقرون هو الذي دفع قبيلتين منغوليتين على المسارعة للنهب والسلب بحيث اصطدمتا ، فكان لاصطدامهما أثره البعيد في دفع شعوب الشرق الاوربي في التيار المسمى « موجة الشعوب » او « الفولكرفاندرونغ » .

فهنا حدث معبر عن تصور تاريخي عالمي على مستوى ذلك الزمان .

وهناك حدث آخر وقع بعد ألف عام من ذلك لا يقل كشفا عن التصور التاريخي العالمي في العصور الوسطى .. ذلكم هو تدخل «تيمورلنك» الذي يغير مجرى التاريخ لان حفيد جنكيز خان قد ظهر بالضبط في الوقت الذي كان يستعد الامير العثماني «بايازيد» وملك القبيلة الموغولية المسماة بالقبيلة الذهبية Horde d'or «توغطاميش» - احدهما في الغرب والثاني في الشرق على غزو أوربا تلك القارة التي كانت تنفض عنها غبار القرون الوسطى ، واخذت تدخل طريق النهضة Renaissance وهكذا ينقذ عمل تيمور

لقد كان التاريخ الى حد القرن العشرين شبه متحف حيث كان يأتي المؤرخ للتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك في زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره ... ذلكم هو التصور التقليدي للتاريخ .

بيد انه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يلاحظ في بعض الاوقات السمة المشتركة وصللة الرحم بين بعض زوايا المتحف .. فهو اذ ذاك امام «وحدة» تاريخية معينة .

ولقد يسمي ج أ توينبي هذه الوحدة بحقل الدراسة أو «مجال البحث» (I) . ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة التي يتم فيها النسيج التاريخي بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها وأسبابها ومسبباتها في هذا المجال او الحقل .

وهكذا يوسع توينبي التصور التقليدي توسيعا ملحوظا يعتمده وذلك بتطعيه بمفهوم « مجال البحث » الذي يطيح بالاطار الوطني حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليوناني (توسيديد) .

الا أن الاطار الجديد الذي يقترحه المؤرخ الانجليزي الكبير كان قد تداعي هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع الحوادث لتاريخية أقوى وأكثر تشابكا من أن نلتمس لها تفسيراً فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث .

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة ينسبها المؤرخون الى موجة المهاجرين العارمة التي تدافعت على